



رسالة المرأة

المرأة اليونانية القديمة والتعليم العالي للأنسة زينب الحكيم

—•—•—•—

ضرورة المساواة بين الجنسين ، واخترع خطة لتعليم النساء ، كان من شأنها أن جعلتهن منتجات فيما يتصل بتدبير المنزل ، كما جعلتهن ممتازات في الثقافة الفلسفية والأدبية .

وأشار أفلاطون بضرورة تعليم المرأة على قدم المساواة مع الرجل ، وسمح بقبول النساء لسماع المحاضرات الجامعية

وفي أيام الاسكندر شجع تحرير المرأة بشكل قوى ، ومن ذلك الحين نرى أن النساء اشتركن في دراسة جميع الفروع العلمية دراسة عملية

وفي الإسكندرية خاصة ، تعلمت بنات الأسانذة العلماء ، تعليماً عالياً ، فواصلن دراسة الفلسفة واللغة ، وعلم الآثار القديمة ، وقد اشتهرن منهن ككثيرات

وفي الفترة اليونانية الرومانية ، نادى بلوتارخ بتعليم النساء ، وقد انتشر التعليم بينهما في أيامه إلى حد بعيد محمود

وأسباسيا « Aspasia » وضعت (موضوعة) تعلم علم البيان والفلسفة ، كعمل تظهر به المرأة في المجتمع الأثيني ، وأصبح الانتماء إلى جماعة نصيرات التعليم العالي بدعة سارية ، حتى أن كثيرات من نساء الطبقات الراقية (الثرية) شغلن أوقات فراغهن بقراءة الفلسفة والشعر ، وحصلن على نوع من التعليم ، وإن لم يكن شعبياً ؛ فقد كان خصوصياً من محاضرين فنيين

مبطل النساء في ذلك العهد

ظل الكثيرون يعتقدون أن الشعر كان المجال الطبيعي للمرأة ؛ يضاف إلى ذلك الفلسفة في الدرجة الثانية ، إذ صارت الفلسفة الحرفية العامة التي أجدن تعلمها حينئذ . ولكن لعله لا ينبغي عن ذهن القارئ والقارئة ، وصف مدرسة سافو الشاعرة في جزيرة Lesbian الجميلة التي أوى إليها الهيلينيات لدراسة الشعر والفن إن جمال جزائر لسبونى الطبيعي ، وحياة الطبقة الأرستقراطية المترفة ، وتوقد ذكاء وحذق سافو نفسها ، وجها الخالص لصديقاتها

التاريخ سجل يطوى فيه أسرار الأجيال . قلبت بين صفحاته عن بعض حالات المرأة اليونانية الغابرة ، فوجدت كل معجب مذهش ...

وفي الحق ليس من المستغرب أبداً أن وجدت سيدات من الدرجة الأولى في المواهب العقلية بين ناس استازوا بالثقافة العالية كاليونانيين

وصافو Sapho الشاعرة اليونانية مثال من الأمثلة الخالدة لهؤلاء السيدات . لقد كانت ذات سطوة قوية على بنات جيلها ، وظهر نتاج مجهوداتها الموقفة بين تلميذاتها الكثيرات ، واشتركت السيدات برغبة في درس الشعر ونظمه . وشجعهن على الاستزادة من ذلك مناصرة عدد كبير لمن من مشاهير الرجال النيورين على ترقية المرأة ، فاستحسنوا أن تتعلم تعليماً عالياً وساعدوها على المطالبة بذلك بكل ما أوتوا من قوة

من هذا نرى أنه منذ المصور المبكرة نودى بتعليم المرأة وبالمساواة بينها وبين الرجل في اليونان

ففي القرن السابع قبل الميلاد ، تشبث كليوبوليس Cleobulus — وكان أحد حكماء اليونان السبعة — بأن ينال النساء التمرين العقلي الذي يناله الرجال ، وأوضح مبدأه بتعليم ابنته كليوبولين Cleobuline التي صارت شاعرة ذات شهرة واسعة فيما بعد ويشجوراس Pythagoras الذي احتفل بإعلان مذهبه الفلسفي في القرن السادس بجنوب إيطاليا ، أشار بوضوح إلى

التاريخ إلا بأسماء قليلات منهم ، بلغ عددهن تسع شاعرات ؛
لقبن بآلهة الشعر الأرضيات

عندما اتسع المجال أكثر أمام المرأة في عهد البطولة Heroic Age
مهتت النساء في استعمال النباتات في فنون السحر ، وفي تطيب
الجروح . وعندما أصبح الطب علماً ، اشتغلت النساء بفنون
منه . وظهر اختلاف أمزجتهن واستعداداتهن وميولهن الطبيعية ،
فنهت من اشتغلت بالعلوم الطبيعية ، وعلم البيان والتاريخ واللغة ،
وأجبت كثيرات علم النقد ، وانتشر بين بنات العلماء

ومن هذا يتضح فساد زعم من ظنوا أن مجال المرأة الطبيعي
كان الشعر فحسب . ولعلنا نطمئن إلى هذا الحكم الذي يؤيده
علم النفس المقتن في القرن العشرين

بنات الشاعرات

شاعرات اليونان اللاتي سبقت الإشارة إليهن وشبهاتهن ،
كوتن نهضة مباركة من بناتهن اللاتي ورفتهن الميول القوية للفنون
والآداب ؛ فكان منهن الموسيقيات ، والمصورات ، والشاعرات ،
والفيلسوفات

والتاريخ وإن لم يدلنا على أنه وجد من بينهن ناحتات للتأثيل
أو مكونات لها ، يذكر الفضل في اختراع هذا الفن إلى فتاة
من كورنثيا Corinthia

والأثر إن صح يروي الآتي :

كانت الفتاة كورا Cora ابنة بوتادس Butades على وشك
أن تودع حبيبها ، ورعاً كان الوداع الأخير ، لأنه كان معترفاً
القيام برحلة طويلة . واتفق أن خياله انعكس على الحائط ، إذ كان
الوقت ليلاً وضيء المكان مصباح . تشطر للفتاة أن تحتفظ
ولو بهذه الذكري من حبيبها ، فرسمت محيط خياله في حياء .
قلما رأى والدها ذلك العمل ، دفعته غريزته الفنية إلى أن يعلّاه لها
بالصلصال ؛ فكان تمثالاً لحبيبها ، كان ناجحاً بعد حرقه في النار

المصورات

كانت لالا Lalla من نساء مدينة سيزكس Cyzicus من
أقدر المصورات بالألوان ، وكان من أخص صفاتها السرعة
في العمل (مثل الملكة فكتوريا) . ومع ذلك لم ينقص ذلك

الفتيات من بنات جيلها ، كانت كلها مؤثرات قوية محبوبة فعالة
لأهل زمانها

ليس من المستغرب إذن أن اكتسبت النساء حب الشعر
وأولمن به ، كما طبعن على الجاذبية لكل شيء جميل في الطبيعة
في تلك البيئة ؛ كما اكتسبن من مخالطتهن اهنانة مطبوعة ، ومعلمة
ماهرة مثل سافو أعلى الصفات



(سافو) تمثال رخامي بفيلا ألباني في روما
القرن الخامس قبل الميلاد - من مجرمة «الدكتور أحمد موسى»

حتى لقد قيل : إنه وجدت ست وسبعين شاعرة من بين
نساء اليونان القديمة ، غير أنه لسوء الحظ لم يحتفظ لنا سجل

كل ما هو جدير بأن تكون عليه المرأة . وفيما يلي مثال مما يشير إليه ما ذكر :

زوج يشجوراس

النساء اللاتي نشأن على مبادئ يشجوراس على ما امترن به من تلك الصفات العالية والقوى الإنسانية التي هيأن بها حياة ناجحة ، لم تضارع إحداهن « Theano » ثيانو ذات العقل الراجح زوج يشجوراس فلقد مزجت الفضيلة بالحكمة مزجاً متناسقاً ، بحيث مثلتها الآثار لها لا كأول امرأة ممتازة فحسب ، بل مثلتها كالتنمذج الأول لنشأة المرأة الذكية الصحيحة أيضاً . نعرف عن حياة « ثيانو » بعض حوادث أخلاقية فقط ، وهذا يجعلنا ننفذ إلى حقيقة أخلاقها . وأهمها الأقوال المأثورة التي قالها في مناسبات خاصة :

سئلت مرة عما تتمنى أن تتميز به ؟ أجابت بيت من شعر هومر تمثل به : « أكثراني بالمفزل ، واعتنائى بفراس زواجى » وسئلت مرة أخرى : ما الذى تسأل عنه الزوجة ؟

أجابت : أن تعيش خالصة لزوجها وسئلت أيضاً : ما هو الحب ؟ قالت : الحب هو غرام النفس الواهية حدث مرة أنها ألقت رداءها وظهرت ذراعها ، فرآها رجل ودعس من جمال تكوينها ، فقال : ما أجملها من ذراع ! فقالت : ليست لنظرات العامة ، وأسرت بتغطيتها .

وقد استعار هذه الملاحظة بلوتارخ ، وغيره من رجال الدين من بينهم كليمنت الإسكندرية ، كما استعارته المؤلفة البيزنطية أنا Anna ، وقد كانت ثيانو شاعرة وكاتبة نادرة ، وقد عثر على قليل من أعمالها الفلسفية والدينية يستدل منها على مقدار نمو مواهبها في التعليل ، وفي مناقشة مسائل تربية الأطفال ، وبمعاملة الخدم ، وكبت الحسد والمواطف الجائعة ، كل ذلك بأسلوب مؤثر حساس لطيف

ولقد كانت أمينة إلى أقصى حد ، في نشر مبادئ وتعاليم زوجها كمعلمة وكاتبة ، أما موتها وظروفه فقير معروف هذه صفحة من صفحات المرأة اليونانية النادرة ، فلمرى هل يكون نتاج أختها اليونانية الحديثة ، يونانية عصر النور والراديو ، والحديد والنار ، أشبه بنتاجها أو أرق منه ؟ هذا ما نرجوه

ترغب الحكيم

شيئاً من مرايا نتاجها ، واعتبرت أول مصورة في وقتها حدثت الرسم بالألوان وعلى العاج . وكل ما لونه من الرسوم كان صوراً لسيدات

وأخبرنا بليني Pliny أنها صورت نفسها في المرأة وهي عجوز ، وقد عرضت هذه الصورة في معرض نابلي

وعثر على صورة أخرى لها في عباى ، وتمثل فتاة تجلس على مقعد يقرب من الأرض وتنتظر إلى تمثال ، وفي يدها اليمنى ريشتها ممتدة إلى صندوق ألوانها وفي يسراها لوح للتصوير . وثيابها منسدلة بأناقة حولها . ويحيط شعرها التمزج رباط لطيف يتدلى حول رقبتها وأكتافها ، ويظهر على عيها مسحة تفكير وعلم تضى أسارى وجهها الرقيق . فإذا صح أن هذه تمثل صورة « لالا » فإنها لا بد كانت جميلة فاضلة

الفلاسفات

نبغت كثيرات من بنات اليونان في الفلسفة والحرف العقلية في مدارس يشجوراس « Pythagoras »

جاء في الأثر أن تأثير يشجوراس في كارتون « Karton » كان عظيماً جداً ، حتى أن نساء المدينة أحضرن ملابسهن الثمينة وحلبن من عقود وأساور ، إلى هيكل هيرا Hera وأودعنها كنحة للفضيلة العائلية . وآلن على أنفسهن منذ تلك الساعة أن يكون الحزم والحشمة رائديهن ، ولن تكون الثياب الثمينة بعد الآن ما يتحلى به جنسهن ، مستعيزات عن ذلك بالعلوم العالية والثقافة . لعمري لقد كانت قبا شريفاً ومقصداً سامياً صنعت به المرأة اللبنة الأولى في بناء الإنسانية الحق . وهل من شك في أن العامل الأول في أى نهضة يتوقف على المرأة ؟ إذن عليها أن تبادر بوضع بذور كل نهضة لتأخذ بيد الإنسانية مسرعة .

إن آثار النساء اللاتي تشرن مبادئ يشجوراس تتمتع بسمعة ينطق عليها في العالم اليونانى كله ، حيث كانت نتائج تعاليمه بالنسبة لمن ، مبادئ سامية لأخلاق المرأة ، وعناية تامة بواجبات الأسرة ، والنهوض بوسائل المعيشة الصحيحة في الحياة ولا سيما تربية الأطفال ، مما لا يزال بعض آثاره باقياً إلى الآن .

وقد كان شعارهن « Saphrosyne » وهو تعبير يعنى الاعتدال والاعتدال بالنفس والحياء ، والفضيلة الزوجية ، وبالاختصار :